International Journal of Arabic Language and Literature Studies
المجلة الدولية لدراسات اللغة العربية وادابها
ISSN: 2707-7659
DOI: 10.32996/ijalls
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/ijalls

أثر الصوت في المعنى عند ابن جني في المحتسب: دراسة صوتية ودلالية

أسمهان عبدالله العامري، باحثة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوصل، دولة الإمارات العربية المتحدة.
أ.د. مجاهد منصور، أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوصل، دولة الإمارات العربية المتحدة.

تاريخ استلام البحث: 2025/01/20	تاريخ نشر البحث: 2025/02/15	المجلد: 7	العدد: 1

الملخص:
يتناول البحث الأثر الذي يتركه الصوت في المعنى عند ابن جني من خلال المحتسب، وتتمثل إشكالية البحث في ماهية الصوت التركيبي وغير التركيبي، وفي قوة الصوت وضعفه، والعوامل المؤثرة في هذا الجانب، ومدى تأثر معنى الآيات بالقراءات المختلفة، ويهدف البحث إلى: توضيح المقصود بالأصوات التركيبية وغير التركيبية، وبيان قوة الصوت وضعفه، ومدى تأثير ذلك على الدلالة. وقد اتبع البحث المنهج الوصفي، وبدأ بمدخل مفاهيمي عن معنى القراءات الشاذة لغة واصطلاحا وأنواعها وتاريخ شذوذ القراءات، ثم تحدث البحث في المبحث الأول عن مفهوم علم الدلالة الصوتية، وأثر الأصوات التركيبية وغير التركيبية في الدلالة، وفي المبحث الثاني أورد البحث بعض الأمثلة القرآنية من القراءات الشاذة الواردة في المحتسب، وأثرها على المعنى، ويختم البحث بالنتائج والتوصيات التي توصل إليها.

الكلمات المفتاحية: القراءات، الشاذة، الدلالة، الصوتية، التركيبية، غير التركيبية.

The effect of sound on the meaning according to Ibn Jinni through Al-Muhtasib: A Phonetic and semantic study

RECIEVED: 20 Janaury 2025	**PUBLISHED:** 15 February 2025	**DOI:** 10.32996/ijalls.2025.7.1.2

Abstract
The research deals with the effect of sound on the meaning according to Ibn Jinni through Al-Muhtasib. The research problem is represented in the nature of the synthetic and non-synthetic sound, the strength and weakness of the sound, the factors affecting this aspect, and the extent to which the meaning of the verses is affected by different readings. The research aims to: clarify what is meant by synthetic and non-synthetic sounds, and to show the strength and weakness of the sound, and the extent to which this affects the meaning. The research followed the descriptive approach, and began with a conceptual introduction to the meaning of the anomalous readings in language and terminology and their types. Then the research discussed in the first section the concept of phonetic semantics and the effect of synthetic and non-synthetic sounds on the meaning. In the second section, the research cited some Quranic examples of the anomalous readings mentioned in Al-Muhtasib, and their effect on the meaning. The research concludes with the results and recommendations it reached.

Keywords: readings, anomalous, semantic, phonetic, structural, non-structural

المقدمة:

الحمدلله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، والصلاة والسلام على نبيه، وخاتم رسله، وبعد،

تعد اللغة العربية من أكثر اللغات غنىً في أسلوبها وتراكيبها، ومن أبرز العلماء الذين اهتموا بجوانب اللغة العربية العالم ابن جني، وقد برزت أهمية دراسة تأثير الصوت في المعنى في مؤلفاته؛ لاسيما في كتابه المحتسب الذي يظهر أثر الصوت في المعنى من خلال القراءات القرآنية الشاذة التي سيعالج البحث هنا بعضها، ويبين أثرها في الدلالة و المعنى من خلال تقسيم البحث إلى مدخل ومبحثين وخاتمة.

مدخل مفاهيمي: مفهوم القراءات الشاذة وأنواعها وتاريخ شذوذ القراءات

أولا: مفهوم القراءات الشاذة

- **معنى القراءات:**

لغة: القراءات جمع قراءة ، وهي من الفعل قرأ، " (قرأ) القرآن : التنزيل ، وقرأ به كنصره لغة: القراءات جمع قراءة ، وهي من الفعل قرأ، " (قرأ) القرآن : التنزيل ، وقرأ به كنصره ومنعه، قرْءاً وقراءةً وقرآناً ، فهو قارئٌ من قرأةٍ وقراءٍ وقارئين: تلاه كاقترأه، وأقرأته أنا. وصحيفةٌ مقرءةٌ ومقْرية، وقارأه مقارأةً وقراءً: دارسه "[1]

والقراءة " في الأصل بمعنى الجمع والضم، تقول قرأت الماء في الحوض أي جمعته فيه، وسمي القرآن قرآنا؛ لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض"[2]. أما اصطلاحا: فقد جاءت تعريفات عدة ، كلها تتعلق بالجانب الأدائي لقراءة القرآن والكيفية، منها: تعريف ابن الجزري ت (833ه): "القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافات بعزو الناقلة"[3]، وقال بعضهم هو"علم بكيفية أداء كلمات القرآن من خفيف وتشديد واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف، وذلك أن القرآن نقل إلينا لفظه ونصه، ما أنزله الله تعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ونقلت إلينا كيفية أدائه، كما نطق بها الرسول صلى الله عليه وسلم وفقا لما علمه جبريل- عليه السلام-[4].

- **معنى الشاذة:**

لغة " شذ ~ شذوذا: انفرد عن الجماعة أو خالفهم ، ويقال :شذ عن الجماعة. و~ الكلام خرج عن القاعدة،

وخالف القياس، الشاذ: المنفرد، أو الخارج عن الجماعة، وتستعمل صفة للفظ أو السلوك، وجمعها شواذ"[5] وأما اصطلاحا، فهو ما لم تتوافر فيه أحد الأركان الثلاثة للقبول وهي: تواتر السند، ، وموافقة العربية، وموافقة رسم المصحف .ويقصد بتواتر السند " نقل جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب عن جماعة كذلك من أول السند إلى منتهاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"[6]. وهناك من يرى – ومنهم ابن الجزري- " الاكتفاء بصحة السند وجعله مكان التواتر"[7]، وهناك آراء في ذلك لا يسع هذا البحث لذكرها.

وعليه فإمام القراء في زمانه ابن الجزري يقول :"كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم"[8]

ثانيا:أنواع القراءات الشاذة

"1) الآحاد وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية ولكنه لم يتواتر.

2) الشاذ: وهو ما فقد أحد الأركان الثلاثة أو معظمها.

3) المدرج: هو ما أريد في القراءات على وجه التفسير.

4) الموضوع: هو ما نسب لغير قائله من غير أصل.

5) المشهور: هو ما صح سنده ولم يباغ درجة التواتر ووافق العربية والرسم وهذا يعد نوعا من أنواع الشاذ عند جمهور القراء والعلماء ولم يصححه سوى ابن الجزري كما تقدم." [9]

ثالثا: تاريخ شذوذ القراءات

مما هو معروف أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتلقون القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان منهم من يحفظه في صدره، ومنهم من كان يسجله" على قطع متفرقة من العسب واللخاف والرقاع وغيرها"[10]. وقد ظهرت هذه الاختلافات في القراءة بين الصحابة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد كانوا يحكمون النبي صلى الله عليه وسلم فيقر بقرآنيتها، كما جاء في الحديث" إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف

فأي ذلك قرأتم أحسنتم ، وفي رواية أصبتم"[11]، إلا أن هذه الاختلافات وضحت بعد العرضة الثانية للقرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث نسخت فيها بعض الآيات ولم يعلم بذلك بعض الصحابة الذين استمروا في قراءتهم على ما يحفظونه، وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم والاختلاط بالأعاجم وانتشار اللحن، تنبه الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لضرورة توحيد رسم المصحف حفاظا على كتاب الله.

" ومن هنا بدأ يظهر الشذوذ على كل قراءة لم تحظ بالإجماع، فقد ذكرت الروايات أن عثمان رضي الله عنه أبعد عن قرآن

المسلمين عددا من الروايات التي لم يستفض نقلها عن النبي صلى الله عليه وسلم وإعلان بطلان العمل بها، وإرساله لكل مصر قارئا

تتفق قراءته والنسخة التي أرسلت إليه حتى أصبح من ذلك الحين رسم المصحف العثماني شرطًا أساسيًا من شروط

صحة القراءة المتوترة وإلا فهي قراءة شاذة "[12]، فكان عهد الخليفة عثمان بن عفان هو الحد الفاصل، والعلامة

الفارقة بين القراءات المتواترة المجمع عليها والقراءات الشاذة؛ وبالتالي نقول:" إن القراءات شذت على مرحلتين:

أ) في العرضة الأخيرة وما قبلها، فالمنسوخ من القرآن حتى العرضة الأخيرة يعتبر شاذاً، ويدخل فيه ما نقل عن مصحف أبي بن كعب أو عن مصحف ابن مسعود –رضي الله عنهما- وهو منسوخ التلاوة.

ب) حين أمر عثمان رضي الله عنه بجمع المصاحف، وحمل الأمة عليها، فكل ما كان مع الصحابة من القرآن المنسوخ ولم يعلموا بنسخه، أو كان يقرأ ولم يثبت تواتره فخالف رسم المصاحف العثمانية، كل ذلك يعتبر شاذاً".[13]

المبحث الأول: الدلالة الصوتية وأثرها في المعنى

إن علم الدلالة الصوتية قد ظهر الاهتمام به مبكرا على يد اللغويين القدامى؛ لما يشكل هذا العلم من أهمية لعلم اللغة الذي بدوره يعد جزءا رئيسًا في حياة البشر. فاللغة مطلب أساس من متطلبات التواصل الإنسانية منذ بدء الخليقة، فكان هذا الاهتمام باللغة وكل ما يمت للغة بصلة، ومنها علم الدلالة؛ بل قد لا أجانب الصواب إن قلت أنه الأهم ، فلا تقوم لغة دون معنى، وهو المعني الأول بالمعنى.

وقد أولى علماؤنا الأقدمون هذا العلم منذ بذرته الأولى العناية والاهتمام، وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي، "حيث جاءت عنه بعض المحاولات التي قام فيها بربط الألفاظ بمدلولاتها "[14]

وقبل التطرق لبعض الجوانب التاريخية للدلالة الصوتية، لابد من توضيح مفهوم علم الدلالة .

أولًا: الدلالة لغة ، الدلالة بفتح الدال وكسرها من دلّ، و" دل عليه، وإليه ~ دلالة : أرشد ، ويقال دله على الطريق ونحوه سدده إليه فهو دال والمفعول مدلول عليه وإليه "[15] والمصدر دلالة.

ثانيًا: اصطلاحًا، فعلم الدلالة " مفهوم عام يختص بالمعنى ويمتد إلى كل مستوى لغوي له علاقة بالدلالة" [16]؛ أي أنه يؤثر في كل مستويات اللغة المرتبطة بالمعنى، " وبعضهم يسميه علم المعنى ولكن حذار من استخدام صيغة الجمع والقول علم المعاني لأن الأخير فرع من فروع البلاغة وبعضهم يطلق عليه اسم (السيمانتيك) أخذاً من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية"[17].

وقد اهتم جميع علماء العرب في اللغة والبلاغة والفلسفة والأصول بهذه القضية، وكانت لهم آراء وإسهامات فيها، كإسهامات " ابن فارس (ت395) في المقاييس حيث ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام، والزمخشري(ت 538) في أساس البلاغة فرّق بين المعاني الحقيقية والمجازية، وابن جني تحدث عن أصل الاشتقاق ومناسبة الألفاظ للمعاني، وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، ودور عبدالقاهر الجرجاني (ت471) في نظرية النظم، والجاحظ (ت 255) في البيان والتبيين حيث تحدث عن أصناف الدلالات" [18]

وهكذا توالت الدراسات من قبل علماء العرب، وتتابعت الإسهامات في هذا العلم إلى أن تبلورت مفاهيمه وخصائصه وأطره.

- **الدلالة الصوتية**

مما سبق من البحث، يتضح أن الدلالة علم يرتبط باللغة في جميع فروعها ، فهو علم لصيق بها، وجزء لا يتجزأ منها؛ ولذا وُجدت أنواع من الدلالات اللغوية كالدلالة النحوية والصرفية والمعجمية والسياقية والاجتماعية والصوتية، والأخيرة هي التي سيتناولها البحث؛ لأنها محوره.

يتضح من مصطلح الدلالة الصوتية أن الدلالة أو المعنى يرتبط بالصوت، أي أن هذا الصوت يؤثر بشكل من الأشكال في المعنى، وهنا يلزم توضيح معنى الصوت.فالصوت لغة من" صات يصوت ويصات: نادى، كأصات وصوّت".[19]

وأما اصطلاحا، فيعرفه ابن جني ت(392) بأنه" عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا"[20]. ونصل إلى تعريف الدلالة الصوتية، فهي" ما تؤديه الأصوات المكونة للكلمة من دور في إظهار المعنى، وذلك في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة، سواء كانت هذه الأصوات صوامت (consonant) أو حركات (vowels) وتسمى بالعناصر الصوتية الرئيسة "[21] وهو يسمى أيضا الصوت التركيبي، " كما تتحقق الدلالة الصوتية كذلك من مجموع تأليف كلمات الجملة وطريقة أدائها الصوتي، ومظاهر هذا الأداء، وهذا ما يعرف بالعناصر الصوتية الثانوية"[22]، وهو يسمى أيضا الصوت غير التركيبي. فالأصوات التركيبية أو الحروف "يحدث معها إعاقة في تيار النفس، وينحبس الهواء في أثناء النطق بها انحباسا محكما"[23] ، وهي ثمانية وعشرون حرفًا. وهذه الحروف أو الصوامت تتصف بصفات ملازمة لها، وبصفات عرضية تعرض للحرف في أحوال محددة، وما هذه الصفات إلا هوية لكل حرف؛ بحيث تجعله متفردا عن بقية الحروف، وهذا التفرد والتميز هو ما يعطي للألفاظ معناها ونكهتها الخاصة في التراكيب.

وعلى سبيل المثال، حرف القاف ينتج من ارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى لسقف الفم، وهذا الحرف أو الصوت أو الصامت يتصف بصفات منها الاستعلاء والجهر والشدة وهذا يعطي لحرف القاف قوة، وتنسحب هذه القوة على اللفظ الذي يكون جزءا من حروفه، وإذا ما نظرنا الى أسماء يوم القيامة وجدنا في بعضها هذا الحرف، الحاقة، القارعة، القيامة، وهذا يتناسب مع ما في هذا اليوم من أهوال وشدة، وإذا ما جاء هذا الحرف ساكنا اتصف بصفة أخرى وهي القلقلة ، ويعني اضطراب الحرف عند نطقه مما يعطي الحرف قوة إضافية، فنجد مثلا في قوله تعالى:" لا أقسم بيوم القيامة"[24]، تناسبت القوة الناتجة عن اضطراب حرف القلقلة (القاف) في كلمة أقسم مع قوة قسم المولى بيوم القيامة، دلالة على شدة وحزم هذا القسم المرتبط بيوم عظيم ومهول.

لانغفل أيضًا عما للحركات أو الصوائت من دور في الدلالة والمعنى، وعندما نقول الحركات فلا نعني بها الحركات القصيرة؛ أي الضمة والفتحة والكسرة فقط، بل نعني بها الحركات الطويلة أيضا أي أحرف المد، مد الواو ومد الياء ومد الألف. فهذه الحركات طويلة كانت أو قصيرة قد تعتريها بعض صفات الحروف، ومن ذلك " قول ابن جني، وإنما سميت الحركة بذلك "لأنها تحرك الحرف أي تقلقله". وهذه خاصية نطقية للحركات قصيرها وطويلها على حد سواء"[25].

وكما ذكرنا سابقا، فالحركات هي ما يطلق عليها الصوائت ، ونضم إلى تسمية الصوائت أحرف المد أيضًا.

والحركات مصطلح " يطلق في القديم على الفتحة والكسرة والضمة ، ... أو ما يعرف في الدرس الحديث بالحركات القصار، أما الحركات الطوال وهي الألف في قال والياء في قيل والواو في يقول فهي موسومة عندهم بحروف المد (واللين)".[26]

وهذه الحركات جوفاء من المعنى في ذاتها، ولا تحصل الدلالة بها أو التأثير إلا من خلال التركيب في اللفظ، وهذا التأثير له مجالات متعددة، " كدلالة المشتقات والمصادر،... إذ تأتي منسجمة مع المعنى الذي يقصد إليه المتكلم، (...) نذكر منها: ترافق الصوائت الأقوى المعاني الأقوى، فالضمة مثلا أقوى الحركات، إذ نلحظ تفوقها على أختيها الكسرة والفتحة*في بعض الأبنية الاشتقاقية التي تمتلك الجذر اللغوي ذاته" [27] ومن هذا " الذِّل في الدابة : ضد الصعوبة، والذُّل للإنسان ، وهو ضد العز.وكأنهم اختاروا للفصل بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة؛ لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدراً مما يلحق الدابة ، واختاروا الضمة لقوتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدابة"[28]، وهكذا تنصرف قوة الحركة على اللفظ بتلقائية.

وأما أحرف المد والتي تسمى الحركات الطويلة ، فإن ورودها في اللفظ يأتي معززا لبعض الصفات والمعاني، فنجد أن صفة التفخيم تصبح أشد وأوضح إذا ما لحق حرف الاستعلاء مد ألف، ولابد أن نعرف أن كل حرف مستعل مفخم، وليس كل مفخم مستعل ، " والتفخيم في الاصطلاح عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه ، والتفخيم والتسمين والتجسيم والتغليظ بمعنى واحد" [29] وهو ما يعطي للفظ غلظة وقوة تتجسد في المعنى.

وهذا يدلنا على أن اللفظ يستمد قوته وضعفه من صفات الحروف ومخارجها، فينعكس على المعنى قوة وضعفاً. وما سبق من الدلالة الصوتية " هو ما يطلق عليه الدلالة الصوتية المطردة أي أن هذه الدلالة تخضع لقواعد معينة، ويمكن أن يحدث فيها مقابلات استبدالية، سواءً حرفا بحرف أو حركة بحركة في الكلمة الواحدة فتحدث فرقًا في المعنى" [30]،

فها هو " يقف ابن جني عند كلمة قضم وخضم فيقول: ألا تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الحرف الأقوى للفعل الأقوى ، والحرف الأضعف للفعل الأضعف".[31]

أما ما يخص الأصوات غير التركيبية أو فوق التركيبية فهي لا تدخل في " تركيب الكلمة أو بنيتها، إنها فوق التركيب أي تكسوه كله فلا يمكن قطع أو تمزيق امتدادها"[32]، ومثالها النبر والتنغيم والوقف والابتداء، وكل تلك الأصوات تعطي دلالة أوضح للفظ إذا ما وظفت في النطق، ونختار النبر منها للشرح.

النبر " الضغط على مقطع معين من الكلمة، ليصبح أوضح في النطق من غيره لدى السمع" [33]، كما في نبر الحرف المشدد عند تلاوة القرآن، حيث يرفع القارئ صوته عند نطق الحرف المشدد بالضغط على مخرجه، إذًا فالنبر " يمنح الكلمة أو الجملة نوعًا من الأداء النطقي الذي يميزها من غيرها، ويساعد على... إبراز المنطوق في صورة موسيقية خاصة أو لون من التفخيم خاص"[34]، كما في قراءة الصاخة، فإننا نقرأ بالنبر عند حرف الخاء، مما يعطي ارتفاع الصوت في كلمة الصاخة وقعًا يرتفع ويزيد في القلوب بعظم هذا اليوم ورهبته .

وفي المبحث التالي، سيتطرق البحث لعدد من النماذج التطبيقية؛ لعلها تكون أكثر إيضاحا لما تم تناوله سابقا من جوانب نظرية.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية من كتاب المحتسب

نصل إلى محور البحث الرئيس، وهو الجزء التطبيقي، وقد اختار البحث نماذج تطبيقية من القراءات الواردة في كتاب المحتسب، وارتأى البحث توضيح الدلالة الصوتية لوجه واحد فقط من أي قراءة ذات أوجه متعددة؛ للتمكن من تناول عددٍ جيدٍ من القراءات؛ فالهدف رؤية الأثر الصوتي في معنى الآية عند القراءة المختلفة، وليس إحصاء القراءات الشاذة في الآية الواحدة.

من سورة البقرة:

" يكاد البرق **يَخْطَفُ** أبصارهم" آية (20)

ففي قراءة للحسن البصري وغيره (**يَخَطَّفُ**) ، خرّجها ابن جني بقوله : " أصله يخْتَطِف فآثر إدغام التاء في الطاء؛ لأنهما من مخرج واحد، ولأن التاء مهموسة والطاء مجهورة، والمجهور أقوى صوتا من المهموس، ومتى كان الإدغام يقوي الحرف المدغم حسن ذلك، وعلته أن الحرف إذا أدغم خفي فضعف، فإذا أدغم في حرف أقوى منه استحال لفظ المدغم إلى لفظ المدغم فيه فقوي لقوته"[35]

وإذا ما فسرنا معنى الآية بقراءة البصري وجدنا أن المعنى لايختلف عن معناها بالقراءة المتواترة، وإنْ كان يفيد المبالغة في اختطاف البرق لأبصار الكفار.

" وإذ **فَرَقْنا** بكم البحر"آية (50)

"وفي قراءة للزهري :(**فرّقنا**) مشددة ، ويخرّج ابن جني هذه القراءة بأنها في المعنى على ضربين: إما أن المراد أن البحر قد فُرق الى فِرقين، وإما أن البحر قد فُرق إلى فِرق " [36] ، وفي كلٍّ المعنى يقصد به المبالغة، وكأن الآية تخبرنا أن الله عزوجل قد شق البحر لموسى- عليه السلام- ومن آمن معه إلى طرق عدة، لينقذهم من بطش فرعون وجبروته ، وهذا المعنى لقراءة الأزهري لا يبعد عن معناها في القرءاة المتواترة إلا بقوةٍ في تفريق البحر وشقّه.

من سورة الأعراف:

" أصيب به من **أشاء**" آية (156)

"ومن ذلك قراءة الحسن وعمرو الأسواري [37]: أصيب به من **أساء**، قال أبو الفتح: هذه القراءة أشد إفصاحا بالعدل من القراءة الفاشية التي هي" من أشاء"، لأن العذاب في القراءة الشاذة مذكور علة الاستحقاق له، وهو الإساءة، والقراءة الفاشية لا يُتناول من ظاهرها علة إصابة العذاب له، وأن ذلك لشيء يرجع إلى الإنسان"[38] ، ورغم أن ما مال إليه أبو الفتح لا يُقصي القراءة المتواترة عن ذلك المعنى، فإن عذاب الله يصيب به من يشاء ممن أساء وظلم وأخطأ، فحاشاه الظلم، وهذا فسره القرآن في مواضع أخرى، كقوله تعالى: " ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لايُظلمون"[39] ، كما أن الله قد يعذب أولًا يعذب من أساء، فله المشيئة بالتجاوز عمن أساء ومغفرة ذنبه يوم القيامة ، وهذا يوضح التلاقي في المعنى بين القراءتين.

من سورة الأنعام:

" ولا تتبعوا **خطوات** الشيطان" آية (142)

"ومن ذلك قراءة علي عليه السلام والأعرج وعمرو بن عبيد (**خُطْؤات**) بالهمز مثقلًا ... قال أبو الفتح : أما " خُطْؤات" بالهمز فواحدها " خُطأة" بمعنى الخطأ" [40]

أي لا تتبعوا أخطاء الشيطان وأفعاله السيئة ، في حين القراءة المتواترة (خُطُوات) وهي جمع " خُطْوة)، و" الخُطوة: الخَطوة، ج خطىً،... ويقال اتبع خُطاه : تبعه في المشي وغيره، وفي التنزيل العزيز" ولا تتبعوا خُطُوات الشيطان " : طرقه" [41] ، وهذا المعنى يؤكد مدى تقارب المعنيين في القراءة الشاذة والمتواترة.

من سورة الأنعام:

" حتى إذا **ادّاركوا** فيها" آية (38)

"ومن ذلك ما روى عن أبي عمرو "حتى إذا إدّاركوا" وروى عنه أيضا: حتى" إذا" يقف ثم يقول "تداركوا" وظهور التاء في تداركوا قراءة ابن مسعود والأعمش...قال أبو الفتح: قطْع أبي عمرو همزة " ادّاركوا" في الوصل مشكل، وذلك أنه لا مانع من حذف الهمزة ؛ إذ ليست مبتدأة كقراءته الأخرى مع الجماعة. وأمثل ما يصرف إليه هذا أن يكون وقف على ألف "إذا" مميّلا بين هذه القراءة وقراءته الأخرى التي هي تداركوا، فلما اطمأن على الألف لذلك القدر من التمييل بين القراءتين لزمه الابتداء بأول الحرف، فأثبت همزة الوصل مكسورة على ما يجب من ذلك في ابتدائها، فجرى هذا التمييل في التلوم عليه وتطاول الصوت به مجرى وقفة التذكر في نحو قولك: قالوا- وأنت تتذكر -الآن من قول الله سبحانه:" قالوا الآن" [42]، فتثبت الواو من قالوا لتلوّمك عليها للاستذكار ثم تثبت همزة الآن ، أعني همزة لام التعريف".[43]

وعلى قراءة اداركوا أو تداركوا ، فالمعنى يبقى واحدًا مع القراءة المتواترة ، فالمعنى إذا الأتباع والمتبوعين اجتمعوا في جهنم كان لهم فيها ما يكون.

" متكئا" آية (31)

" ... قرأ مجاهد، وسعيد بن جبير: مُتْكاً" ساكنة التاء غير مهموز" [44]،

"والمُتْك ثمرة الأترج " [45]، وهي بهذه القراءة نجد لطيفة في تفسيرها ، فإن امرأة العزيز عندما دعت النسوة اللاتي انتقدْن فعلها مع يوسف عليه السلام ، جهزت لهن مجلسًا، وقدمت لكل واحدة منهن سكينا، فكان وجود السكين منطقيًا مع وجود المتك ، وهي ثمرة الأترج، أما في القراءة المتواترة فالمتكأ هو " المجلس المعد فيه مفارش ومخاد وطعام ، فيه ما يُقطع بالسكاكين من أترج ونحوه"[46]، ولاشك أن هذا التفسير يتلاقى مع تفسير القراءة الشاذة.

" ما هذا **بشرًا** " آية (31).

" ومن ذلك قراءة الحسن وأبي الحويرث الحنفي" ما هذا **بِشِرًى**" بكسر الباء والشين"[47]، ويخرّج أبو الفتح هذه القراءة على وجهين:
الوجه الأول: " أن يكون أراد ما هذا بمشْرِيٍ" " فاستخدم اسم المفعول "مشري" مكان المصدر " بِشِرًى"، والمقصود ما هذا بشيء يُشترى" [48] ، وأما الوجه الثاني " أن تكون الباء غير زائدة ،... لكنها كالتي في قولك : هذا الثوب بمائة درهم، ... أي هذا بهذا ، فيكون معناه : ما هذا بثمن"[49]، وفي كلا الوجهين يقصد بأن يوسف عليه السلام لا يباع ولايشترى ولا يقدر بثمن، لما عليه النبي يوسف من جمال أخاذ لا يضاهى عند إنسان بشري ، وهذا ما عليه القراءة المتواترة ، فما هذا بشراً أي ما هذا الجمال لبشرٍ، ولا يقارن بأحد، وعليه فالقراءتان متلاقيتان في المعنى.

. **من سورة يس**

"**ياحسرة**" آية (30)

هناك عدة قراءات في كلمة"حسرة"، منها: " يا **حسرةَ** على العباد بغير تنوين ابن عباس، يا **حسره** على العباد بالسكون الأعرج، يا **حسرةَ** العباد بلا على الحسن "[50]، وقد خرّج أبو الفتح قراءة حسره بالسكون بقوله:" ففيه نظر؛وذلك أن قوله " على العباد"متعلق بها أو صفة لها، وكلاهما لا يحسن الوقوف عليها دونه، ووجه ذلك عندي ما أذكره؛ وذلك أن العرب إذا أخبرت عن الشيءغير معتمدته ولا معتزمة عليه أسرعت فيه، ولم تتأن على اللفظ المعبر به عنه"[51]، وهذه القراءة وإن كانت غير مقبولة عند ابن جني؛ لتعلق شبه الجملة بحسره، إلا أنني أرى في تلك الهاء الساكنة، والتي يجري معها النفس من جوف الصدر، آهٍ تحمل تنهيدة الحسرة، وكأنه لسان حال أولئك العباد الذين سيندمون ويتحسرون عند رؤية العذاب يوم القيامة، فصوت (الهاء) المهموس يحمل بصفاته همس خجلٍ من أفعالهم، لكنه بعد فوات الأوان، وهذا ما يفسر قول ابن جني في " قراءة من " يا حسره على العباد" إنما هو لتقوية المعنى في النفس، وذلك أنه في موضع وعظ وتنبيه، وإيقاظ وتحذير".[52]

وهذا المعنى لهذه القراءة لا يبعد عن معنى القراءة المتواترة، فكلاهما تفيدان حسرة العباد على ما فرطوا وابتعدوا عن الوحدانية، فكان العذاب جزاء وفاقا، غير أن الهاء الساكنة بصفاتها تعطي وقعا وعمقا أكثر في التحسر.

ويُكتفى بهذا القدر من النماذج كصورة توضيحية، مع العلم بأن القرآن بجميع قراءاته يزخر بدرر لا يمكن إحصاؤها في مجلدات، ومهما نهل الإنسان من القرآن العظيم فلن يكتفي، فالقرآن لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم.

الخاتمة

ختاما، فقد توصل البحث إلى ما يلي:

- القراءات الشاذة وإن كان لا يُتعبد بها،إلا أنها تعتبر مصدرا لغويا يحتج به.
- المفردة العربية بكل الوحدات المكونة لها، تركيبية كانت أو غير تركيبية تؤثر بشكل مباشر في معناها قوة وضعفا.
- صفات الحروف ومخارجها تلعب دورا أساسيا في المعنى، فهي تؤثر فيه صعودا وهبوطا.
- دلالات القراءات الشاذة تتلاقى في كثير من الأحيان مع دلالات القراءات المتواترة؛ بل إنها قد تحمل بلاغة أوضح من القراءة المتواترة.
- تأثير قواعد التجويد واضح بشكل كبير في دلالات القراءات القرآنية.

ومما سبق، فإن البحث يوصي بالاهتمام بدراسة الوجوه الدلالية في القراءات الشاذة على وجه الخصوص، حيث لمس البحث قلة الكتب في هذا الجانب، وإن كان هناك قدر لا بأس به من الرسائل الجامعية، كما يوصي البحث بشدة أن تقرن مثل هذه الدراسة بعلوم التجويد.

الهامش

1) الفيروزآبادي مجد الدين: القاموس المحيط، ، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م، 47. ص
أبو طاهر السندي: صفحات في علوم القراءات، مكة، المكتبة الإمدادية، ط1، 1415ه، ص9. 2)

3) ابن الجزري شمس الدين: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1 ،1999م، ص9.

4) رشاد محمد سالم: القراءة القرآنية وصلتها باللهجات العربية، القاهرة، دار المنار للنشر والتوزيع، ط1، 1995م، ص21 .

5) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، ص486

6) عبدالفتاح القاضي: القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، بيروت، دار الكتاب العربي،1981م، ص8 .

7) المرجع نفسه، ص 8.

8) ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي: النشر في القراءات العشر، تقديم علي محمد الضباع، تخريج زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ج1، ص15.

9) صابر حسن محمد أبو سليمان: النجوم الزاهرة في تراجم القراء الأربعة عشر ورواتهم وطرقهم، الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998م، ص81 .

10) محمود أحمد الصغير: القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، دمشق، دار الفكر، ط1،1999م، ص16.

11) الألباني محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 1995، ج 4، ص26.

12) محمود أحمد الصغير: القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص31.

13) أبوطاهر السندي: صفحات في علوم القراءات، ص84.

14) صالح سليم عبدالقادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مصر ، المكتب العربي، (د.ت)، ص9.

15) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ص294.

16) فرانك بالمر: مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة خالد محمود جمعة، الكويت، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط1، 1997م، ص31

17) أحمد مختار عمر: علم الدلالة، الكويت، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط1، 1982م، ص11.

18) ينظر: المرجع نفسه، ص11.

19) الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص143.

20) ابن جني أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، تح: محمد حسن اسماعيل وأحمد رشدي عامر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2000م،ج1، ص19.

21) بو زيد ساسي هادف: الدلالة الصوتية عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص، مجلة حوليات التراث، عدد 9، 2009م، ص135.

22) المرجع نفسه، ص135.

23) نرمين غالب أحمد: أثر المستوى الصوتي في تشكيل الدلالة، سورة الحاقة نموذجا،(رسالة جامعية)، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر،عدد 16، 2016م، ص4.

24) القرآن الكريم، رواية حفص، سورة القيامة، آية1، سوريا، دار غار حراء، ط3، 2019م.

25) كمال بشر: علم الأصوات، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،2000م، ص220.

26) المرجع نفسه، ص 445.

*من المعروف أن الكسرة هي الأقوى إملائيًا ، لكن الضمة أثقل نطقًا للجهد المبذول.

27) محمد إسماعيل بصل، صفوان سلوم: أثر الصوائت في الدلالة اللغوية (الإفرادية والتركيبية)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مجلد 32، 2010، عدد 1، ص156.

28) ابن جني:المحتسب، مجلد 2، ص 63.

29) غانم قدوري الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، بغداد، مطبعة الخلود، ط1، 1986م، ص292.

30) ينظر: بو زيد ساسي هادف: الدلالة الصوتية عند ابن جني ، ، ص136.

31) ابن جني: الخصائص، تح: عبدالحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1421ه، ج 1، ص165.

32) كمال بشر: علم الأصوات، ، ص497.

33) عبد الغفار حامد هلال: أصوات اللغة العربية، ط2، 1988م، ص 258.

34) كمال بشر: علم الأصوات، ص524.

35) ابن جني: المحتسب، مجلد 1، ص140.

36) المصدر السابق، مجلد1، 164.

37) الاسم : عمرو بن فائد ، الشهرة : عمرو بن فائد الإسواري , الكنيه: أبو علي. النسب: البصري, الإسواري, القرشي ، الرتبة : ضعيف الحديث، توفي عام : 201 ، (موسوعة الحديث)

38) ابن جني: المحتسب، مجلد 1،ص 373.

39) سورة يونس، آية 54.

40)) ابن جني: المحتسب، مجلد 1،ص343.

41) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ص245.

42) سورة البقرة، آية 71.

43) ابن جني: المحتسب، مجلد 1، ص358.

44) المصدر السابق، مجلد 1، ص10.

45) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ص 890.

46) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، بيروت، نوبليس انترناشيونال، ط1، 2011م، مجلد12، ص2669.

47) ابن جني: المحتسب، مجلد2، ص13.

48) ينظر: المصدر السابق، مجلد 2، ص14

49) المصدر نفسه، ص 14.

50) ابن خالويه: القراءات الشاذة، الأردن، دار الكندي، 2002م، ص125.

51) ابن جني: المحتسب، مجلد2، ص253.

52) المصدر نفسه، مجلد2،ص 256.

فهرس المصادر والمراجع

أولا:القرآن الكريم

ثانيا:المراجع العربية

1. أبو طاهر السندي: صفحات في علوم القراءات، مكة، المكتبة الإمدادية، ط1، 1415ه.
2. ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي: النشر في القراءات العشر، تقديم علي محمد الضباع، تخريج زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ج1.
3. ابن الجزري شمس الدين: منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1 ،1999م.
4. ابن جني: الخصائص، تح: عبدالحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1421ه، ج1.
5. ابن جني أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، تح: محمد حسن اسماعيل وأحمد رشدي عامر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2000م،ج1.
6. ابن خالويه: القراءات الشاذة، الأردن، دار الكندي، 2002م.
7. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، بيروت، نوبليس انترناشيونال، ط1، 2011م، مجلد12.
8. أحمد مختار عمر: علم الدلالة ، الكويت ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط1، 1982م.
9. الألباني محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 1995، ج4.
10. بو زيد ساسي هادف: الدلالة الصوتية عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص، مجلة حوليات التراث، عدد 9، 2009م.
11. رشاد محمد سالم: القراءة القرآنية وصلتها باللهجات العربية، القاهرة، دار المنار للنشر والتوزيع، ط1، 1995م.
12. صابر حسن محمد أبو سليمان: النجوم الزاهرة في تراجم القراء الأربعة عشر ورواتهم وطرقهم، الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998م.
13. صالح سليم عبدالقادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، مصر ، المكتب العربي، (د.ت).
14. عبد الغفار حامد هلال: أصوات اللغة العربية، ط2، 1988م.
15. عبدالفتاح القاضي: القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، بيروت، دار الكتاب العربي،1981م.
16. غانم قدوري الحمد: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، بغداد، مطبعة الخلود، ط1، 1986م.
17. فرانك بالمر: مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة خالد محمود جمعة، الكويت، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط1، 1997م.
18. الفيروز آبادي مجد الدين: القاموس المحيط، ، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2010م.
19. كمال بشر: علم الأصوات، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،2000م.
20. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م.
21. محمد إسماعيل بصل، صفوان سلوم: أثر الصوائت في الدلالة اللغوية (الإفرادية والتركيبية)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مجلد 32، 2010م، عدد1.
22. محمود أحمد الصغير: القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، دمشق، دار الفكر، ط1،1999م.
23. نرمين غالب أحمد: أثر المستوى الصوتي في تشكيل الدلالة، سورة الحاقة نموذجا،مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر،عدد 16، 2016م